القيم والتغيرات السلوكية في المجتمع الجزائري
دراسة أثر مشاهدة برامج القنوات التلفزيونية الفرنسية

د العربي بوعمامة د هني الحاج احمد
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

الملخص:

استقصت الدراسة أثر برامج القنوات التلفزيونية الفرنسية على القيم السلوكية لأفراد المجتمع الجزائري، وكان الهدف من وراء ذلك معرفة العلاقة بين كثافة المشاهدة لقنوات التلفزيون الفرنسي وتغير القيم السلوكية وكذا تحديد القيم السلوكية الإيجابية والسلبية التي تحدثها هذه القنوات. وكخيار منهجي تبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ضمن نسقية معرفية تجمع بين الإعلام والسيكولوجيا بغية مقاربة أشمل للتغييرات السلوكية التي تخلفها برامج قنوات التلفزيون الفرنسي على أفراد المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: القنوات الفضائية ــ التلفزيون الفرنسي ــ القيم ــ السلوك - المشاهدة.

Abstract:

The study investigated the effect of French TV programs on behavioral values of Algerian society, with the motivation to approach the relationship between the intensity of watching French television channels and behavioral change as well determining the positive and negative behavioral values caused by these channels. As a methodical option, we adopted the descriptive analytical approach in the light of a varied epistemological structure that bases on mythological multidisciplinarity which inspires from both media field and psychology in order to provide more comprehensive approach to the behavioral changes that French television channels programs cause to the members of the Algerian society.

Keywords: Satellite Television - French Tv channels -Values- Behaviour- Watching.

أولا: مدخل عام:

استقطبت مسألة البث التلفزيوني الفضائي عبر الأقمار الصناعية منذ بداية التسعينيات اهتمام جميع الفاعلين الاكاديميين السياسيين الاجتماعيين، كما أثارت هذه القضية ولا زالت تثير إلى حد الآن جدلا واسعا حول تأثيراتها الإيجابية والسلبية على أفراد المجتمع وبالأخص الفئات الشابة منه.

وتعد الجزائر من إحدى دول العالم العربي الأكثر تأثرا بظاهرة البث التلفزيوني الفضائي المباشرذلك بفضل متاحية(Availability) تكنولوجيات الاستقبال (reception technologies) وسهولة الحصول على الهوائيات المقعرة في كل المدن الجزائرية بداية من 1990. وبعد مرور عقدين من الزمن على ظاهرة البث التلفزيوني الفضائي تبلورت وتوطدت علاقة المشاهد الجزائري مع الفضائيات الفرنسية كما ونوعا خاصة في ظل تطور التلفزيون بملاحقه المختلفة. فلم تعد المشاهدة مقتصرة على قناة واحدة، كما كان ذلك من قبل، بل أتاحت التكنولوجيات الحديثة للاتصال الفرصة للاختيار مما يعني تعدد الأذواق والميولات والاتجاهات والتجارب في ظل الاتصال التلفزيوني الرقمي الجديد الذي يتيح للمشاهد اختيار القنوات التي يرغب فيها.

من هذا المنطلق تأتي الدراسة الحالية لتسلط الضوء من جديد على قنوات التلفزيون الفرنسي ومدى تأثيراتها على القيم السلوكية لأفراد المجتمع الجزائري، وذلك لأن تأثير البث الفضائي لقنوات التلفزيون الفرنسي على الخصوص مرتبط بالعديد من المتغيرات المتداخلة والمترابطة ومن بينها القيم السلوكية للفرد.

وغني عن البيان أن للقيم (values) دورا هاما في السلوك الإنساني، فالقيم هي أحد محددات السلوك، وتتأثرا بالعديد من العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إضافة إلى الدين والعرف والعادات والتقاليد، والتلفزيون هو أحد المؤثرات الرئيسية التي تساعد على تعديل القيم وتغييرها.[1] و يطرح البث التلفزيوني الفضائي الفرنسي العديد من القضايا المعقدة والمتشابكة في المجالات السوسيوثقافية خاصة، وقد ازدادت هذه القضايا حدة مع تنامي هذه الظاهرة الاتصالية خلال السنوات الأخيرة حيث أدت إلى طرح بعض الإشكاليات المعرفية فيما يرتبط بتواجد البث المباشر في قنوات التلفزيون

الفرنسي وأثره على ثقافة المجتمع الجزائري وتقاليده وأعرافه ونظرته إلى محيطه وعالمه الخارجي خاصة بعد التوجه الجديد من الاتصال الجماهيري إلى الاتصال الفردي.

هذه الانشغالات لم تحتل الصدارة في السياسات التنموية والثقافية المطروحة وفي اهتمامات الباحثين باستثناء بعض الدراسات التي تناولت ردود أفعال الشرائح الاجتماعية المدروسة اتجاه برامج القنوات التلفزيونية الفرنسية.

ثانيا: تأثير برامج قنوات التلفزيون الفرنسي على القيم السلوكية للمجتمع الجزائري

نستهدف من خلال هذه الدراسة محاولة معرفة الآثار التي يمكن أن تحدثها برامج قنوات التلفزيون الفرنسي على القيم السلوكية المنتشرة في المجتمع الجزائري، خاصة أمام التغيرات الاجتماعية والثقافية التي فرضت عليه.

من هذا المنطلق، نتبين أنه لا فكاك من طرح السؤال الجوهري التالي: هل لبرامج قنوات التلفزيون الفرنسي أثر على القيم السلوكية المنتشرة في المجتمع الجزائري ؟

و بغية الإجابة عن هذا التساؤل ارتأينا أن نتبنى المنهج الوصفي التحليلي (Descriptive analytical method) كبوصلة منهجية و بنيوية موجهة لبحثنا، و يعتبر المنهج التحليلي الأكثر شيوعا واستخداما لدراسة الظواهر المشابهة لموضوع دراستنا، إذ أنه لا يتوقف عند وصف البيانات وتبويبها وإنما يهتم بدراسة العلاقات التي تربط بين المتغيرات.

ويعرفه صلاح مصطفى الفوال بأنه "يهدف إلى وصف ظواهر ووقائع وأشياء معينة من خلال جمع الحقائق والمعلومات والملاحظات الخاصة بما يحدث بحيث يرسم ذلك كله صورة واقعية لها، ووضع تقرير بما ينبغي أن تكون عليه الأشياء أو الظواهر موضوع البحث.[2]

و تم اللجوء إلى اختيار عينة من القنوات الفضائية الفرنسية ، وقد تم فيها تسجيل فيلمين في الأسبوع لكل قناة من القنوات الثلاثة على حدى، وفي النهاية تم تحليل (45) فيلما وقد تم استخدام وحدة المفردة كأساس للتحليل ونعني بها في دراستنا وحدة البرنامج أي اعتبار الفيلم في مجمله كوحدة متكاملة للتحليل. و لقد تم تصميم استمارة

تحليل المعطيات (القيم السلوكية) التي تعكسها الأفلام الفرنسية عبر القنوات الفرنسية التالية (TF1, Canal+M6).وقد قسمت الاستمارة على النحو التالي:

-**حصـــر القيم:** حيث وقع الاختيار على 10 قيم إيجابية و10 قيم ســـلبية وهي من القيم السـلوكية الإنسـانية الشـائعة في معظم المجتمعات، والهدف من هذه القيم هو التعرف على مدى ما تعكسـه الأفلام من قيم إيجابية وقيم سـلبية ونسـبة كل منها ومدى تطابقها أو عدم تطابقها مع ثقافة المجتمع والمعاني الكامنة وراء هذه القيم، وقد تم التركيز في حصر القيم على الطريقة الكمية كآلية لتحقيق تساؤل الدراسة التحليلية.[3]

- **نوع الفيلم:** قســـمت الأفلام المدروســـة إلى أنواع وهي الأفلام الاجتمـاعيـة، الأفلام السـياسـية، الأفلام التاريخية، أفلام الجريمة أو البوليسـية، أفلام الخيال العلمي، أفلام الوسترن، الأفلام الاستعراضية أو الغنائية، أفلام الهزل أو الكوميديا، أفلام الإثارة. وهذه التقسيمات هي الشـائعة الاسـتخدام في تقارير لجان الفحص، والهدف من هذا التقسـيم هو معرفة أي من هذه الأنواع يبث أكثر من غيره.

- **مصـــدر الفيلم:** هو معرفة الأصـــل أو الجهة التي ورد منها هذا الفيلم أو ذلك، عنوان الفيلم، والدولة المنتجة للفيلم.

وقد اشتملت استمارة تحليل المضمون على مجموعة من العناصر الجوهرية و هي كالاتي:

- العنصـر الخاص بمعرفة حجم الأفلام ضـمن البرمجة العامة في القنوات الثلاثة وذلك للتعرف على أبعاد البرمجة واستراتيجياتها المختلفة.

-العنصـر الخاص بأنواع هذه الأفلام حسـب عينة الدراسـة، هل هي أفلام اجتماعية أم سياسية أم أفلام الخيال العلمي أم كوميديا.

-فئة أنواع وموضوعات القيم السلوكية الإيجابية والسلبية التي يتم استنباطها من أفلام عينة الدراسة، وسيتم حصرها وعدها وقياسها ومقارنتها بعضها ببعض.

و من أكثر الموضـوعات التي تتطرق لها الدراما التلفزيونية الأجنبية والتي تم تقسـيمها إلى قسمين:

الســمات الســلوكية الإيجابية: حب الســلم، الصــدق، الأمانة، التســامح، التعاون، الشجاعة، احترام القوانين، عدم إثارة الجنس، فعل الخير، الانضباط.

السمات السلوكية السلبية : العنف، الكذب، السرقة، القتل، الأنانية، الجبن، إثارة الجنس، مخالفة القوانين، حب الشر، الخوف.

وقد تم استخدام أسلوب القياس (Method of measurement)، و هو يتباين ويختلف وفقا لأهداف الدراسة وفروضها وطريقة تصميم الفئات التي تجمع عن طريقها المعلومات والبيانات.أما بالنسبة لوحدة القياس المستخدمة (Unit of measurement) في هذه الدراسة فهي وحدة العد والحصر وذلك لرصد مرات تكرار الفئات الخاصة بالقياس.

أما بالنسبة لوحدات القياس فهي: **وحدة الفيلم ،وحدة المشهد ووحدة الشخصية**.بالنسبة لوحدة الفيلم فاستخدمت بالنسبة لتحديد تكرارات نوعية الأفلام والبلد المنتج. أما وحدة المشهد فاستخدمت لقياس تكرارات القيم السلوكية الإيجابية أو السلبية المستنبطة من موضوعات تلك الأفلام. والمقصود بالمشهد في الفيلم هو مجموعة اللقطات التي تدور في مكان واحد وزمان واحد حتى ولو تخطت الكاميرا ذلك المكان إلى مكان آخر قريب منه ما دام الحدث متصلا في المكان والزمان ولم ينتقل إلى غيره، وسواء طالت مدته أم قصرت فإنه يعد وحدة متكاملة خاضعة للقياس.[4]

و سوف نحاول من خلال هذه الدراسة تقديم صورة واضحة لبعض محتويات البث الفضائي المباشر، وسوف يرتكز التحليل على الأبعاد الخفية (implicit dimensions) والظاهرة (explicit dimensions) للأفلام التي يتعرض لها المشاهد عبر بعض الفضائيات الأجنبية الأكثر حضورا في الجزائر، وسنستخدم أسلوب تحليل المحتوى بغرض استقراء طبيعة ما يشاهده الجمهور في الفضائيات الفرنسية.

و من الملاحظ أنه قد تم تسجيل جميع الأفلام الأجنبية التي تم عرضها في القنوات التلفزيونية الثلاثة (TF1, Canal+M6). وطبقت استمارة التحليل على جميع الأفلام على اعتبار أن كل فيلم يمثل وحدة مستقلة للتحليل، بمعنى أنه تم تطبيق استمارة تحليل على كل فيلم من الأفلام عينة الدراسة مع مراعاة نوع الفيلم، حجمه، البلد المنتج، وكذا ما يعكسه من قيم سلوكية إيجابية أو سلبية.

وتوضح الجداول الآتية عناوين الأفلام التي تم اختيارها عينة لهذا البحث والبلد المنتج لها وحجمها الزمني (متوسط زمن كل فيلم):

الجدول1: يبين عناوين الأفلام والبلد المنتج لها ومتوسط زمن كل فيلم من عينة القناة الفرنسية M6

الرقم	عنوان الفيلم، المخرج وسنة الإنتاج	البلد المنتج	الحجم الساعي
01	La vie devant nous (Vincenzo Moraud) 2006	فرنسا	60 دقيقة
02	Small Ville (Kenneth Biller) 2006	الولايات المتحدة كندا	54 دقيقة
03	Beverly Hills (Chip Johannessen) 1994	الولايات المتحدة	54 دقيقة
04	Les 10 commandements (Robert Dornheïm) 2006	الولايات المتحدة	105 دقيقة
05	Le justicier reprend les armes (Sheldon Larry)1999	الولايات المتحدة	90 دقيقة
06	The closer (Jesse Bochco) 2006	الولايات المتحدة	49 دقيقة
07	New York District (Helaine Head) 1994	الولايات المتحدة	54 دقيقة
08	Jackie Chan A Hong Kong (Vincent Kok) 1999	هونغ كونغ	99 دقيقة
09	Back Draft (Ron Howard) 1991	الولايات المتحدة	135 دقيقة
10	Wish Master (Chris Angel) 2001	الولايات المتحدة	99 دقيقة
11	Ncih. Alertes Médicales (Rick Wallace) 2004	الولايات المتحدة	49 دقيقة
12	Y a t'il un flic pour sauver la reine? (David Zucker)1998	الولايات المتحدة	90 دقيقة
13	Black Mask 2 (Tsui Hark) 2002	الولايات المتحدة	105 دقيقة
14	Le justicier Braque la mafia (David Greens) 1997	الولايات المتحدة	94 دقيقة
15	Les chroniques de Riddick (David Twohy) 2004	الولايات المتحدة	115 دقيقة

الجدول2: يبين عناوين الأفلام والبلد المنتج لها ومتوسط زمن كل فيلم من عينة القناة الفرنسية +Canal

الرقم	عنوان الفيلم، المخرج وسنة الإنتاج	البلد المنتج	الحجم الساعي
01	L'Auberge rouge (Gerard Krawezy K) 2007	فرنسا	94 دقيقة
02	Le rêve de cassandre (Woody Allen) 2007	الولايات المتحدة	105 دقيقة
03	Cow Boy (Benoit Mariage) 2007	فرنسا، بلجيكا	94 دقيقة
04	The Proposition (John Hillcoat) 2005	بريطانيا، أستراليا	99 دقيقة
05	Darling (Christine Carrière) 2007	فرنسا	90 دقيقة
06	Paradise Lost (John Stockwell) 2006	الولايات المتحدة	90 دقيقة
07	Face (Antonia Bird) 1997	بريطانيا	105 دقيقة
08	L'Eventail de Lady windermere (Mike Barker)2004	بريطانيا، إسبانيا، إيطاليا	90 دقيقة
09	DériveMortelle (Hans Horn) 2007	الولايات المتحدة	90 دقيقة
10	Raisons d'Etat (Robert de Niro) 2006	الولايات المتحدة	160 دقيقة
11	Gone (RinganLeduridge) 2007	الولايات المتحدة، فرنسا، بريطانيا	85 دقيقة
12	Voleur de Chevaux (Micha Wald) 2007	بلجيكا، فرنسا، كندا	80 دقيقة
13	La chambre des morts (Alfred Lot) 2007	فرنسا	115 دقيقة
14	88 minutes (Jon Arnet) 2007	الولايات المتحدة، ألمانيا	105 دقيقة
15	Alamo (John Lee Hancock) 2004	الولايات المتحدة	130 دقيقة

الجدول 3: يبين عناوين الأفلام والبلد المنتج لها ومتوسط زمن كل فيلم من عينة القناة الفرنسية TF1

الرقم	عنوان الفيلم، المخرج وسنة الإنتاج	البلد المنتج	الحجم الساعي
01	Le petit monde de Charlotte (Garry Winick) 2006	الولايات المتحدة، ألمانيا	99 دقيقة
02	Attention papa revient (Rolf Silber) 2003	ألمانيا	94 دقيقة
03	Bobby (Emilia Estevez) 2006	الولايات المتحدة	115 دقيقة
04	Play boy à saisir (Tom Jastle) 2005	الولايات المتحدة	99 دقيقة
05	Good bye Bafane (Bille August) 2007	ألمانيا، بريطانيا، فرنسا	115 دقيقة
06	Mission impossible 3 (J.J. Abrams) 2005	الولايات المتحدة	120 دقيقة
07	Le Facteur (Michael Radford) 1995	فرنسا، إيطاليا، بلجيكا	110 دقيقة
08	Big Movie (Jason Friedberg) 2007	الولايات المتحدة	94 دقيقة
09	La Jungle (Mathieu Delaporte) 2005	فرنسا	105 دقيقة
10	Mansfield Park (Lain.B.Mc Donald) 2007	بريطانيا	94 دقيقة
11	Au Coeur de la tourmente (BeebanKildron) 1997	كندا، بريطانيا	110 دقيقة
12	Bon voyage (John Fawce.H) 2006	بريطانيا، كندا	105 دقيقة
13	Meurtre parfait (Andrew Davis) 1998	الولايات المتحدة	105 دقيقة
14	Une affaire de goût (Bernard Rapp) 2000	فرنسا	94 دقيقة
15	Mystère du passé (Tim Krause) 2002	ألمانيا	99 دقيقة

تعد الأفلام سواء كانت الطويلة (Long métrage) أو القصيرة (Cours métrage) أو التلفزيونية (Téléfilm) ركائز أساسية ضمن البرمجة التلفزيونية في القنوات الفضائية الفرنسية، ومن خلال هذا الحجم يتضح أن المشاهد في الجزائر يتلقى سيلا عارما من الصور عبر شاشته الصغيرة. هذه الأفلام موزعة بدقة عبر كل فترات المشاهدة الصباحية والمسائية والليلية وما بعد (منتصف الليل فما فوق). وعند محاولة معرفة الحجم الزمني المخصص لمشاهدة هذه الأفلام عبر القنوات الثلاثة المدروسة يبدو واضحا لأول وهلة أن الحجم الساعي المخصص للأفلام (كل الأنواع) عبر البرمجة يثير أكثر من تساؤل. حيث يستطيع المشاهد أن يقضي عدة ساعات في اليوم في متابعة هذه الأفلام، ناهيك عن القنوات الأخرى التلفزيونية غير المدرجة في هذا البحث والتي لا يستهان فيها بالحجم الزمني المخصص للأفلام. ففي دراسة تحليلية عن محتويات القنوات التلفزيونية الفرنسية أجرتها مجلة (TV/HEBDO/SUD) وجدت أن الجمهور يستقبل أسبوعيا ما يقرب من 69 فيلم موزعة كالآتي: ستة أفلام عبر القناة الفرنسية الأولى بمعدل 40 دقيقة في اليوم، سبعة أفلام عبر القناة الفرنسية الثانية بمعدل 160 دقيقة في اليوم، ثمانية أفلام عبر القناة الفرنسية الثالثة بمعدل 240 دقيقة في اليوم، إثنى عشر(12) فيلما عبر القناة الفرنسية السادسة بمعدل 100 دقيقة في اليوم، وسبع عشرة(17) فيلما عبر القناة الخاصة (+CANAL)بمعدل 190 دقيقة في اليوم[5]

ولعل النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث من حيث الفضاء الزمني المخصص للأفلام تكشف عن دلائل كثيرة وتتضح هذه الدلائل على ضوء معطيات الجدول 4

الجدول4: يبين الأفلام ضمن البرمجة التلفزيونية.

القناة	الأفلام	البرامج الأخرى	المجموع
	عدد الساعات في اليوم	عدد الساعات في اليوم	
M6	13 سا58 د(87,29%)	02 سا02 د(12,70%)	16 سا(100%)
CANAL+	5 سا57 د(24,80%)	18 سا03 د(75,20%)	24 سا(100%)
TF1	20 سا37 د(85,90%)	03 سا23 د(14,10%)	24 سا(100%)
متوسط حجم البرمجة	13 سا58 د(80,50%)	03 سا23 د(19,50%)	17 سا21 د (100%)

Hervé Claude François, Les stades des chaines, Revue TV/HEBDO/SUD, N° 531, Paris, 1990, p 51-61.

وبتحليل بيانات الجدول السابق يمكن أن نلاحظ ما يلي:

إنّ أعلى نسبة من الأفلام التي تبثها هذه القنوات تعود إلى قناة M6 حيث بلغت 87,29% من مجموع البرامج الأخرى التي تبثها القناة، بينما جاءت القناة الفرنسيةTF1 في المرتبة الثانية بنسبة 85,90%، فالقناة الفرنسية +CANAL بنسبة 24,80% من مجموع البرامج المبثة يوميا عبر هذه القنوات. أمّا المتوسط العام لحجم البرمجة المخصص للأفلام فقد بلغ 80,50% من المجموع الكلي للبرمجة في القنوات الثلاثة وهي نسبة معتبرة لا يستهان بها.

وتعطي هذه النتائج مؤشرات واضحة على الكفاية التي حققتها هذه القنوات في مجال الأفلام المعروضة على المشاهدين، حيث تشكل الدراما بأجناسها رافدا أساسيا من الروافد التي تصب في مجرى البرامج المتدفقة عبر شاشات التلفزيون في مختلف أنحاء العالم. ويكفي المرء أن يلقي نظرة على خارطة البرامج لهذه القنوات ليتبين سعة المساحة التي تحتلها الأفلام في هذه الخارطة.

إنّ ثمة من يرى في حجم الأفلام التي يقدمها أي تلفزيون معيارا أساسيا لتقييم مستوى نجاح ذلك التلفزيون وهو رأي لا يخلو بطبيعة الحال من تطرف. وفي الواقع أن للاهتمام بالأفلام ما يبرره بفعل الخصائص التي تتميز بها هذه الأفلام عن غيرها من البرامج، وتؤهلها لأن تحظى بنسبة قبول عالية ومؤثرة. وقد لاحظنا في الدراسات السابقة أنّ الأفلام هي التي تحتل الجزء الأكبر من اهتمام المشاهدين وعنايتهم، لما تملكه من قدرة فائقة على التأثير بأساليبها القائمة على التمثيل بالصوت والتعبير بالوجه إلى لغة الكاميرا الحية، فضلا على أنها قادرة على بعث الحياة كلّها بحيويتها وعنائها وخصوبتها مما تجعل المشاهد في أغلب الأحيان خاضعا لتقنياتها المتعددة.

وتؤكد الأبحاث الإعلامية الحديثة أنّ ثمة دوافع عديدة للإقبال على مشاهدة برامج التلفزيون ولكن دافع التسلية والمتعة من الأفلام المعروضة هو أقوى الدوافع بالنسبة

لمختلف الشـرائح، الشـيء الذي –ربما- أدى بالمبرمجين إلى توسـيع سـعة الأفلام ضـمن البرمجة العامة في ظل تراجع دور العرض السينمائي في كل المجتمعات[5].

تصـنف الأفلام حسـب التقسـيمات الشـائعة في التقارير للجان الفحص إلى أنواع درامية مختلفة، فهي إما أفلام ذات صبغة اجتماعية أو سياسية أو أفلام بوليسية أو تاريخية أو دراما يغلب عليها جانب الإثارة أو كوميديا استعراضية.

والفيلم هو مجموعة مشاهد متسلسلة وفق سياق معين يجسد حدثا رئيسيا يدور حول محور واحد ولا يسـتغرق وقتا طويلا، فهناك الأفلام القصيرة التي يتراوح وقتها بين سـاعة ونصف وتبث عادة ضمن الفترة النهارية وهناك الأفلام الطويلة التي يزيد وقتها عن ساعة ونصـف إلى سـاعتين وتقدم للمشـاهد عادة في فترة برامج السـهرة وتسـمى عادة "سـهرة درامية" أو "فيلم السهرة". وهذا عكس المسلسل أو "الأوبيرا الصابونية" التي يدوم عرضها أسـابيع أو شـهور (في العادة نصـف سـاعة إلى 44 دقيقة يوميا). وقد تم الاعتماد في هذه الدراسـة على النوعين. إن الأفلام التي تبث خلال اليوم الواحد غالبا ما تشـكل مركز ثقل ضـمن البرمجة العامة للتلفزيون. فهي تسـتقطب اهتمام الجمهور المشـاهد في كل مكان، كما أن المبرمجين يختارون الأوقات الليلية لعوامل كثيرة منها كثافة المشـــاهدة حيث يتواجد الناس أغلبهم في المنازل وبالتالي يتصـــاعد الاهتمام الجماعي بهذه الأفلام، وقد أثبتت العديد من دراسـات الجمهور أنّ فترات المشـاهدة المكثفة تكون بين هذا التوقيت (الفترة الليلية)، كما أن أفلام هذه الفترة منتقاة وتعالج قضايا كثيرة بحبكات إمّا واقعية أو خيالية وبتقنيات سينمائية متطورة.

ومن واقع تحليل أنواع الأفلام في عينة الدراسـة التحليلية وعلى ضـوء معطيات الجدول رقم 5 يتضح ما يلي:

الجدول5: يبين أنواع الأفلام حسب عينة الدراسة

القنوات / أنواع الأفلام	M6	CANAL+	TF1	المجموع
اجتماعية	%27,27	%27,27	%45,45	%24,44
سياسية	%00	%00	%00	%00
الرعب	%2,22	%00	%00	%2,22
بوليسية	%28,57	%50,00	%21,42	%31,11
واسترن	%00	%04,44	%00	%04,44
خيال	%33,33	%00	%66,66	%06,66
إستعراضية	%60	%20	%20	%11,11
كوميديا	%20	%40	%40	%11,11
إثارة	%00	%00	%00	%00
حربية	%00	%00	%00	%00
عاطفية	%50	%00	%50	%08,88
/المجموع	15	15	15	45

وبتحليل بيانات الجدول يمكن أن نلاحظ ما يلي:

إن أعلى نسبة من أنواع الأفلام التي تبثها القنوات التلفزيونية الممثلة لعينة الدراسة (45 فيلما) هي الأفلام البوليسية حيث بلغت نسبتها 31,11% من مجموع أنواع الأفلام التي بثتها القنوات خلال فترة الدراسة، بينما جاءت الأفلام الاجتماعية في المرتبة الثانية بنسبة 24,44%، ثم الأفلام الاستعراضية في المرتبة الثالثة بنسبة 11,11% وفي نفس المرتبة الثالثة وعلى التوالي أفلام الكوميديا بنسبة 11,11%، وجاءت الأفلام العاطفية في المرتبة الخامسة بنسبة 08,88%، واحتلت الأفلام الخيالية المرتبة السادسة بنسبة 06,66%. أما المرتبة السابعة فهي لأفلام الواسترن بنسبة 04,44% أما المرتبة الأخيرة فهي لأفلام الرعب بنسبة 02,22%.

وإذا أردنا مقارنة الأفلام البوليسية التي احتلت المرتبة الأولى ضمن المجموع العام بين القنوات الثلاثة، فيلاحظ أن القناة تولي أهمية معتبرة لهذا النوع من الأفلام،

حيث اتضح أنها تعتمد على الدراما البوليسية بنسبة 50% مقارنة بالأنواع الأخرى، ويقل هذا الاهتمام عند قناة TF1التي احتلت فيها الأفلام الاجتماعية نسبة 45,45% و27,27% بالنسبة لقناة +CANAL. لكن الملاحظ هو أن هذا النوع من الأفلام البوليسية يحتل الصدارة في القنوات الثلاثة وبنسب متفاوتة طبعا، أما الأفلام الاجتماعية فاحتلت المرتبة الثانية وكما هو معلوم، تعكس الأفلام الاجتماعية في الواقع قيما حضارية وثقافية ومجتمعية تختلف باختلاف المجتمع الذي ينتجها ونوع المشاكل التي يعيشها، كما تختلف المشاكل الاجتماعية من فيلم إلى آخر إلا أنه وكقاعدة عامة تم استنتاجها من خلال هذه الأفلام أن المشاهدة القصوى في مضامينها تركّز على السلطة، العاطفة، الحب، مشاكل الأسرة، الطلاق، المال، الطفولة، الجيران، الأقارب الخ.

وتفيد الأبحاث الخاصة بالإشباعات أنّ المشاهدين يستعملون مضمون الأفلام الاجتماعية خاصة والمسلسلات (لأنها تعالج قضايا اجتماعية) من أجل إشباع حاجات نفسية منها:

مرجع ذاتي: حيث يقارن المشاهد بين حياته وبين الأحداث الدرامية من أجل فهم الواقع الذي يحيط به.

تعزيز القيم العائلية: حيث يميل المشاهد إلى انتقاء قيم ومواقف الشخوص المثالية التي تبدو له أنها تعزز أواصر عائلته.

الهروبية: أي أن المشاهد ينهمك في حبكة القصة والحدث لدرجة تجعله ينسى هموم وأتعاب الحياة.

منفعة اجتماعية: يستعمل المشاهد معلومات الدراما الاجتماعية في أحاديثه مع زملائه ومعارفه حتى لا يستثنى من الاتصال الاجتماعي.

ولعل أهم خاصية من خصائص الدراما الاجتماعية هي فرصة التماثل بين شخوصها، وهذه الفرصة تحبك بواسطة تقنيات مستعملة في الفن الروائي كالقصة والدراما والسينما مثل موقع شخصية رئيسية في الفيلم (البطل) إذ تعكس الكمال الأخلاقي والجسماني والعقلي والهيمنة الاجتماعية الخ.

وعادة ما تكون القصة الاجتماعية–كما في أفلام عينة الدراسة- محبوكة بقضايا كثيرة وممزوجة بعنصر الإثارة والتشويق كالعنف، الصمود، القوة والتلميحات العاطفية الخ.

ويضاف إلى ذلك أنّ العنصر البوليسي (رغم أنه نوع قائم بذاته) يدخل بدرجة كبيرة في الأفلام الاجتماعية.

يمكن من خلال هذه الفئة أن نحدّد نوع القيم المستنبطة من الموضوعات التي تتضمنها تلك الأفلام وهل هي قيم إيجابية أم سلبية وما مقدار ما تؤيده منها وما ترفضه.

وتجدر الإشارة إلى أن المقصود بالقيم السلوكية هنا هي الأحكام التي تطلق عن الحدث والتي يدور أو يعبر عنها الحوار بين شخصيات الفيلم عينة البحث، كما أنها الأحكام التي يمكن إصدارها على ما يشاهد خلال أحداث الفيلم من سلوكات تمثل –في الواقع- قيما متنوعة يتم تصنيفها على جداول محددة تبعا لأنواع الفئات المختارة.

أما بالنسبة لوحدة القياس الأساسية لهذه الفئة (القيم) فإنها وحدة القناة بعد عد القيم وحصرها من خلال أفلام عينة الدراسة. وقبل أن نبدأ بعرض تلك القيم تبعا للتصنيف نود أن نشير إلى ما يلي:

- إن القيمة إذا تكررت أكثر من مرة في الفيلم الواحد فسوف تحسب جميعها ولا نكتفي بواحد منها فقط.

-هناك تناقض بين مضمون تلك القيم بحيث قد يأتي ما يدعو للاهتمام بقيمة معينة وتأتي في الوقت نفسه ما ينهى عنها، وهذا التناقض ليس فقط بين الأفلام وإنما قد يكون في الفيلم الواحد.

أنواع القيم السلوكية الإيجابية: ولعل الجداول الآتية توضّح حصر تلك الأنواع من القيم الإيجابية السلوكية التي تضمّنتها أفلام عينة البحث في القنوات الثلاثة وبالتالي عدها وترتيبها.

الجدول 6: يبيّن إجمالي القيم السلوكية الإيجابية التي تضمنتها أفلام عينة البحث في القناة الفرنسية M6

الأفلام / القيم الإيجابية	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5	ف6	ف7	ف8	ف9	ف10	ف11	ف12	ف13	ف14	ف15	م	ترتيب القيم
حب السلم	0	1	0		1	2	1	0	2	1	1	2	0	1	2	14	2
الصدق	2	1	3		1		1	1		1	0	0	0		1	11	7
الأمانة	1	0	2	1	0	1	1	0	1	0	2	1	0	1	0	11	7
التسامح	1	1	1	1	2	0	0	2	1	0	0	1	1	2	1	14	2
التعاون	2	1	0	0	1	0	1	3	1	2	0	0	0	1	2	14	2
الشجاعة	0	2	1	0	0	3	1	1	0	0	0	4	2	1	0	15	1
إحترام القوانين	0	1	0	1	0	1	2	0	1	1	0	3	0	1	1	12	6
عدم إثارة	0	2	0	0	1	0	0	1	2	0	1	0	0	0	0	7	10
فعل الخير	2	1	1	0	1	0	2	0	2	0	0	1	1	1	1	13	5
الانضباط	2	0	1	0	0	2	0	1	0	0	2	0	1	0	1	10	9
المجموع	**10**	**10**	**9**	**6**	**7**	**12**	**9**	**9**	**10**	**5**	**6**	**12**	**8**	**9**	**12**	**134**	

وقراءة بيانات هذا الجدول تبرز ما يلي:

-تأتي القيمة الإيجابية المتمثلة في الشجاعة بالنسبة للقناة الفرنسية M6 في مقدمة أنواع القيم الإيجابية التي تضمنتها تلك الأفلام، حيث احتلت المرتبة الأولى. وطبيعي تحمل هذه القيمة أكثر من دلالة أبرزها تفوق الإنسان الغربي في مجال الشجاعة، وقد التمسنا هذه الحقيقة في بعض الأفلام التي شاهدناها. فالبطل الشجاع كان ومازال موجودا في الأفلام لأنه ذو جاذبية وفائدة وله مكانته بين المجتمع وهو الإنسان المحترم اجتماعيا، كما في فيلم Le justicier reprend les armes. والبطل هو الرجل الشجاع الذي يكشف المؤامرات والدسائس ويعبر عن حقيقة المجتمع أو الشخص الذي لا يتراجع عن الخطأ كما في فيلم Le justicier braque la maffia للمخرج الأمريكي Sheldon Larry.

-بعد ذلك جاءت في المرتبة الثانية القيم الإيجابية المتمثلة في التسامح والتعاون وحب السلم. وقد تكررت هذه القيم في أغلب أفلام عينة الدراسة فهذه القيم تعتبر سمات تميز الشعوب المتحضرة، وهي ترتبط باحترام الوقت أثناء العمل وأداء الواجبات وخدمة المصالح العامة وتبدو هذه القيم واضحة أكثر في الأفلام البوليسية التي تقوم على التحقيقات الصارمة الهادفة على كشف المتسببين في الجرائم كذلك النوع من الأفلام البوليسية مثل The closer وNew York district.

-ويحتل فعل الخير المرتبة الخامسة في الجدول بمتوسط تكرارين أو تكرار واحد في معظم الأفلام.

-أما القيم الإيجابية الأخرى كاحترام القوانين والصدق والأمانة والانضباط فقد تأكدت أهميتها بنسب معتبرة في أفلام عينة الدراسة بالنسبة للقناة الفرنسية M6، حيث احتلت مراتب متوسطة، واتضح أنها من القيم التي تعمل الأفلام الاجتماعية والبوليسية على غرسها في نفوس المشاهدين. ففيلم Le justicier braque la maffia للمخرج David Greene يطرح قضية الكفاح من أجل هدف سامي (هو القضاء على المافيا حيث تتشابك أحداث القصة بين العدل المتمثل في رجال الشرطة والشر المتمثل في المجرمين وتتنوع أساليب رجال الشرطة في القضاء على هؤلاء باستخدام احترام القانون وهي قيمة إيجابية. والهدف العام هو حب الخير للجميع.

الجدول 7: يبيّن إجمالي القيم السلوكية الإيجابية التي تضمنتها أفلام عينة البحث في القناة الفرنسية +CANAL

الأفلام / القيم الإيجابية	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5	ف6	ف7	ف8	ف9	ف10	ف11	ف12	ف13	ف14	ف15	م	ترتيب القيم
حب السلم	0	0	1	0	0	0	1	0	0	0	1	0	1	0	0	4	9
الصدق	0	2	3	0	3	0	4	0	0	5	1	2	1	1	1	23	2
الأمانة	1	1	1	0	0	1	0	0	0	1	1	1	2	1	0	10	4
التسامح	0	0	0	1	1	1	0	1	1	0	0	0	0	0	1	5	8
التعاون	1	1	1	2	1	2	1	1	1	2	1	2	1	1	1	19	3
الشجاعة	1	3	4	2	2	3	1	3	1	1	2	3	3	1	1	32	1
احترام القوانين	0	1	2	0	1	0	1	1	1	0	1	0	0	0	0	8	6
عدم إثارة	0	0	0	1	0	0	0	1	0	0	0	0	1	0	0	3	10
حب الخير	1	0	1	0	0	2	0	0	1	0	0	1	0	0	1	7	7
الانضباط	1	0	1	0	1	2	0	0	1	0	2	0	1	0	0	9	5
المجموع	**5**	**8**	**14**	**6**	**9**	**11**	**8**	**7**	**6**	**9**	**9**	**9**	**10**	**4**	**5**	**120**	

وقراءة بيانات هذا الجدول تبرز لنا ما يلي:

-إن القيمة الإيجابية المتمثلة في الشجاعة من القيم السلوكية الأساسية التي برزت أكثر في الأفلام عينة الدراسة بالنسبة للقناة الفرنسية حيث احتلت هذه القيمة المرتبة الأولى بمجموع 32 تكرارا. ولعلّ مرد ذلك يعود إلى أن بعض الأفلام تركز على القيم الإنسانية كرسالة سامية تهدف من خلالها تعبئة المشاهدين نحو هذه القيم النبيلة.

-بعد ذلك جاءت في المرتبة الثانية القيمة الإيجابية المتمثلة في الصدق. وتكررت هذه القيمة على الأقل مرة واحدة في كل أفلام عينة الدراسة بالنسبة للقناة، الشيء الذي يؤكد أن الأفلام في معظمها لا تبرز هذه الخاصية.

-ثم جاء التعاون كقيمة إيجابية محتلة المرتبة الثالثة بمجموع تسعة عشر تكرارا، وبرزت هذه القيمة في كل الأفلام.

-أما بالنسبة للقيمة الإيجابية المتمثلة في الأمانة فاحتلت بمفردها المرتبة الرابعة ولم تبرز هذه القيمة سوى في بعض الأفلام فقط.

-واحتلت قيمة الانضباط المرتبة الخامسة بمجموع ثمانية تكرارات، واتضح أنها برزت من خلال بعض الأفلام الاجتماعية فقط.

-أما ما يتعلق بقيم احترام القوانين، حب الخير والتسامح، فقد احتلت المرتبة السادسة والسابعة والثامنة والتي ترتكز على عنصر المغامرة والبطولة.

-ولم تحظ قيمة "حب السلم" إلا بـ 04 تكرارات من مجموع 15 فيلما، رغم أهمية هذه القيمة على المستوى السلوكي وأهمية تأثيرها الإيجابي على المشاهدين.

الجدول 8: يبيّن إجمالي القيم السلوكية الإيجابية التي تضمنتها أفلام عينة البحث في القناة الفرنسية TF1

الأفلام / القيم الإيجابية	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5	ف6	ف7	ف8	ف9	ف10	ف11	ف12	ف13	ف14	ف15	م	ترتيب القيم
حب السلم	0	0	1	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	3	9
الصدق	0	1	1	1	0	1	0	1	2	1	0	0	1	1	0	10	4
الأمانة	1	2	0	0	1	0	0	1	0	0	0	1	0	1	1	8	5
التسامح	0	0	1	1	1	0	1	2	1	0	0	0	0	0	0	7	7
التعاون	1	0	2	1	3	4	2	3	1	0	1	1	2	3	1	25	2
الشجاعة	3	4	5	1	1	1	1	2	1	3	1	4	2	1	3	33	1
احترام القوانين	0	0	1	0	0	1	1	0	0	0	1	1	1	1	1	8	5
عدم إثارة	0	0	0	0	0	1	0	1	0	1	0	0	0	0	0	3	9
حب الخير	1	1	0	1	2	0	1	1	1	0	0	0	1	1	1	11	3
الانضباط	0	0	1	0	0	0	0	1	1	1	0	0	0	0	1	5	8
المجموع	6	8	12	5	9	8	6	12	7	6	3	7	7	8	9	111	

إن قراءة بيانات هذا الجدول تبرز لنا ما يلي:

-كما هو الحال بالنسبة لقناتيM6 وCANAL+ احتلت قيمة الشجاعة المرتبة الأولى وقد تجلى هذا في بعض الأفلام الاجتماعية التي كانت فيها بعض المشاهد تحرص على غرس هذا النوع من القيم من خلال الأدوار الإيجابية للممثلين.

-نفس الشيء يمكن أن يقال عن قيمة التعاون التي احتلت المرتبة الثانية من ضمن القيم السلوكية الإيجابية في أفلام قناة TF1 حيث نلاحظ تكرار هذه القيمة عدة مرات في أفلام عينة الدراسة.

-احتلت القيمة الإيجابية حب الخير المرتبة الثالثة بمجموع إحدى عشر تكرارات، أما قيمة الصدق فاحتلت المرتبة الرابعة.

-أما بالنسبة للقيمتين الإيجابيتين احترام القوانين والأمانة فاحتلتا المرتبة الخامسة بمجموع ثمانية تكرارات، وقد برزت هاتان القيمتان في بعض الأفلام فقط، بينما خلت في البقية الأخرى من الأفلام.

-احتل التسامح كقيمة إيجابية المرتبة السابعة بمجموع سبع تكرارات. وهي مرتبة متوسطة وردت تقريبا في معظم أفلام عينة الدراسة.

-ثم يأتي الانضباط في المرتبة الثامنة بمجموع خمس تكرارات، حيث تكررت هذه القيمة مرة واحدة في الأفلام.

-لم تحظ القيم الأخرى "عدم إثارة الجنس" و"حب السلم" بأدنى اهتمام في أفلام عينة الدراسة بالنسبة لقناة TF1حيث احتلت المراتب الأخيرة بمجموع ثلاث تكرارات. ولعل الجداول الآتية توضّح حصر تلك الأنواع من القيم السلوكية السلبية التي تضمّنتها أفلام عينة البحث في القنوات الثلاثة وبالتالي عدها وترتيبها.

جدول 9: يبيّن إجمالي القيم السلوكية السلبية التي تضمنتها أفلام عينة البحث في القناة الفرنسية TF6

الأفلام / القيم السلبية	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5	ف6	ف7	ف8	ف9	ف10	ف11	ف12	ف13	ف14	ف15	م	ترتيب القيم
العنف	0	0	0	2	3	2	3	2	2	1	0	0	2	3	0	20	4
الكذب	1	0	1	1	2	0	0	1	0	0	1	2	2	1	0	12	8
السرقة	1	0	2	0	3	1	2	2	0	0	0	0	0	0	0	11	9
القتل	1	0	0	2	3	1	1	1	1	5	0	0	2	2	2	21	3
الأنانية	3	1	3	1	1	0	1	1	1	0	1	1	1	1	1	17	6
الجبن	1	2	1	4	3	1	2	2	2	3	0	0	2	3	2	28	1
إثارة الجنس	4	0	3	0	2	1	0	0	1	0	0	0	0	2	0	13	7
مخالفة القوانين	0	0	0	0	1	2	1	1	1	0	1	0	0	1	1	9	10
حب الشر	1	1	2	2	3	1	2	1	2	5	0	3	1	2	2	28	1
الخوف	0	0	1	0	0	1	1	0	0	7	1	0	3	2	2	18	5
المجموع	12	4	13	13	20	10	13	11	10	21	4	6	13	17	10	174	

قراءة بيانات هذا الجدول تبرز ما يلي:

ــ يبدو من خلال الجدول أن حب الشر والجبن من القيم السلوكية السلبية التي احتلت المرتبة الأولى من بين القيم السلبية في أفلام عينة الدراسة بالنسبة للقناة الفرنسية M6، حيث يلاحظ تكرار هذا الأسلوب المتمثل في الجبن وحب الشر سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة في معظم أفلام عينة الدراسة، إلى حد أن هناك بعض الأفلام تعتمد عليه

كقاعدة رئيسية في الفيلم، أو أن تكون القصة مرتبطة بالسلوكات الشريرة مثلما شاهدنا ذلك في فيلم Back Drift وفيلم Le justicier reprend les armes

-أما القتل كقيمة سلبية، فتأتي بمفردها في المرتبة الثالثة من بين القيم السلبية في أفلام عينة الدراسة بالنسبة للقناة الفرنسية M6؛ حيث يلاحظ تكرار هذه القيمة في فيلمين بدرجات معتبرة خاصة في الأفلام البوليسية أو أفلام الجريمة. كفيلم le justicier reprend les armes للمخرج الأمريكي Sheldon Larry وفيلم wish master للمخرج الأمريكي Chris Angel. وتمتزج هذه القيمة بالعنف والخيانة والكذب كقيمة سلبية محتلة بذلك المراتب المتوسطة من بين القيم السلبية في أفلام عينة الدراسة.

-أما القيم السلبية الأخرى المتبقية كـ: العنف والخوف والأنانية والكذب والسرقة ومخالفة القانون فهي من القيم السلبية التي تتكرر على فترات. حيث تأتي دائما إما سببا رئيسيا لأحداث العنف أو نتيجة له. نقرأ ذلك في عدة أفلام: The closer و New York district حيث تطرح هذه الأفلام العدل المتمثل في رجال الشرطة والشر المتمثل في المجرمين المخالفين للقانون. وتأتي خلاصة الفيلم لتؤكد أن أحداث العنف سببها الرئيسي إما "التواكل" أو "الغاية تبرر الوسيلة" في غياب الوازع الأخلاقي.

-وعموما تتقارب كل القيم السلبية من حيث التكرار، إلا أن الملاحظة التي ينبغي تأكيدها هنا هي: أن بعض القيم تتكرر عدة مرات في فيلم واحد أو اثنين وتختفي كلية في بقية الأفلام الأخرى، كإثارة الجنس في فيلم La vie devant nous للمخرج الإيطالي Vincenzo morana.

الجدول10: يبيّن إجمالي القيم السلوكية السلبية التي تضمنتها أفلام عينة البحث في القناة الفرنسية +CANAL

الأفلام / القيم السلبية	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5	ف6	ف7	ف8	ف9	ف10	ف11	ف12	ف13	ف14	ف15	م	ترتيب القيم
العنف	0	0	2	3	1	3	3	0	4	3	2	0	1	3	2	25	2
الكذب	0	1	0	0	2	2	0	0	1	2	0	0	0	0	1	9	9
السرقة	0	0	0	1	0	2	1	0	0	0	0	2	0	0	0	6	10
القتل	0	0	0	2	0	1	2	0	2	1	1	0	0	1	3	13	8
الأنانية	1	2	2	2	2	1	0	1	2	1	1	2	1	2	0	20	5
الجبن	0	1	1	2	0	2	2	0	3	1	2	1	0	3	6	24	3
إثارة	0	1	2	1	2	2	2	2	2	0	1	0	0	2	0	17	6
مخالفة القوانين	0	0	0	2	0	2	2	0	2	1	2	2	0	3	0	16	7
حب الشر	1	1	1	3	1	3	1	0	3	2	2	1	1	2	2	24	3
الخوف	1	1	1	1	0	1	2	0	3	1	3	0	3	3	4	27	1
المجموع	**3**	**7**	**8**	**17**	**8**	**19**	**15**	**3**	**22**	**12**	**14**	**8**	**6**	**19**	**18**	**179**	

وقراءة بيانات هذا الجدول تبرز ما يلي:

-إن قيمة الخوف في عينة أفلام القناة الفرنسية +CANAL تتكرر عدة مرات في جميع الأفلام الممثلة لعينة الدراسة، سواء من خلال لقطة أو من خلال مشهد بكامله، مما يؤدي إلى احتلالها المرتبة الأولى من بين القيم السلبية الأخرى. وتمتزج هذه القيمة بقيم سلبية أخرى تشكل ظواهر اجتماعية يعيشها المجتمع الغربي كالسرقة، حب المال، حب السلطة، والأنانية الخ. كما في فيلم ParadiseLost للمخرج الأمريكي John Stockwell.

-أما العنف كقيمة سلبية، فيأتي بمفرده في المرتبة الثانية حيث يلاحظ أن هذه القيمة ترتبط عادة بأفلام الواسترن أو الأفلام البوليسية، ويرتبط العنف عادة بالسرقة والقتل

حيث في فيلم واحد فقط وقعت إحدى عشر حالة سرقة وهو ما تجسده أحداث فيلم Face للمخرج البريطاني Antonia Bird.

-نلاحظ أن القيم الأخرى تتكرر في معظم الأفلام بدرجات متفاوتة.إلا أن بعض الأفلام تكون مبنية على حبكة يمكن من البداية معرفة تجلياتها وبالتالي عدد القيم السلبية فيها.

جدول 11: يبيّن إجمالي القيم السلوكية السلبية التي تضمنتها أفلام عينة البحث في القناة الفرنسية TF1

الأفلام القيم السلبية	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5	ف6	ف7	ف8	ف9	ف10	ف11	ف12	ف13	ف14	ف15	م	ترتيب القيم
العنف	0	0	1	0	1	4	0	0	0	1	2	0	4	3	0	16	4
الكذب	0	1	1	2	0	2	1	1	2	1	1	2	2	1	0	17	3
السرقة	0	0	0	0	0	3	0	0	0	0	0	0	3	1	0	7	9
القتل	0	0	0	0	0	3	0	0	0	0	0	0	1	2	0	6	10
الأنانية	1	1	2	0	1	2	2	2	2	2	0	3	1	2	0	21	2
الجبن	0	0	1	1	0	3	1	0	1	0	1	1	3	3	1	16	4
إثارة الجنس	0	2	0	2	0	3	0	0	0	0	1	3	2	3	0	16	4
مخالفة القوانين	0	0	0	0	1	2	1	0	0	1	0	0	2	3	1	11	8
حب الشر	1	1	1	1	0	4	1	1	0	2	2	3	3	2	1	23	1
الخوف	1	0	1	0	1	2	0	0	0	1	1	1	2	2	3	15	7
المجموع	3	5	7	6	4	28	6	4	5	8	8	13	23	22	6	148	

وقراءة بيانات هذا الجدول تبرز ما يلي:

أ- في أفلام عينة الدراسة في القناة الفرنسية TF1أحصينا 23 حالة إثارة لحب الشر.

-أما عن عنصر الأنانية، فتحتل هذه القيمة السلبية المرتبة الثانية بمجموع 21 تكرارا.

-أما القيم السلبية الأخرى: الكذب، الجبن، العنف وإثارة الجنس فاحتلت المرتبة الثالثة والرابعة. فهذه القيم تأتي وتغيب حسب ظروف القصة وحبكة الفيلم.

إلا أن الملاحظة التي يمكن اســتنتاجها من هذه الأفلام جميعها في القنوات الثلاثة هو غلبة عنصر حب الشر على القيم الأخرى سواء كانت الإيجابية أو السلبية وهو ما سيتأكد في المحور القادم الذي سنتناول فيه إجمالي أنواع القيم في أفلام عينة الدراسة.

ويمكن أن يتم حصر القيم السابقة في جميع أفلام عينة البحث من خلال جداول تمثل النتائج التي توصل إليها البحث بالنسبة للقيم التي تم عرضها في تلك الأفلام.

ولعل الجدول الأول من هذه الجداول يتم فيه حصــر جميع القيم الإيجابية في جميع الأفلام مع توزيعها تبعا للقناة ونسبة كل منها وترتيبها من بين القيم الأخرى.

الجدول12: يبين مجموع تكرارات القيم السلوكية الإيجابية في القنوات الثلاثة:

القيم الســلوكية الإيجابية	M6	Canal +	TF1	التكرار في 45 فيلم	المرتبة	%
حب السلم	14	4	3	21	9	05,93
الصدق	11	23	10	44	3	12,42
الإمانة	11	60	8	29	5	08,19
التسامح	14	5	7	26	7	07,34
التعاون	11	19	25	58	2	16,38
الشجاعة	15	32	33	80	1	22,59
إحترام القوانين	12	8	8	28	6	07,90
عدم إثارة الجنس	7	3	3	13	10	03,67
فعل الخير	13	7	11	31	4	08,75
الانضباط	13	9	5	24	8	06,77
المجموع	**121**	**120**	**113**	**354**		**100**

الجدول 13: يبين مجموع تكرارات القيم السلوكية السلبية في القنوات الثلاثة:

القيم السلوكية السلبية	TF6	Canal +	Tps Star	التكرار في 45 فيلم	المرتبة	%
العنف	20	25	16	61	3	12,05
الكذب	12	9	17	38	8	07,50
السرقة	11	6	7	24	10	04,74
القتل	21	13	6	40	7	07,90
الأنانية	17	20	21	58	5	11,46
الجبن	28	24	16	68	2	13,43
إثارة	13	17	16	46	6	09,09
مخالفة القوانين	9	10	11	36	9	07,11
حب الشر	28	24	23	75	1	14,82
الخوف	18	27	15	60	4	11,85
المجموع	**177**	**181**	**148**	**505**		**100**

ولكي يتم تحديد مدى اهتمام الأفلام بعرض موضوعات القيم الإيجابية والسلبية فإن الجدول الآتي يوضح إجمالي موضوعات السمات الإيجابية والسلبية التي تم عرضها خلال أفلام عينة الدراسة ونسبة كل منها.

<u>الجدول14</u>: يوضح إجمالي السمات السلوكية الإيجابية والسلبية التي تم عرضها خلال أفلام عينة البحث ونسبة كل منها.

نوع السمات	العدد	النسبة %
السمات الايجابية	354	41,16
السمات السلبية	506	58,83
المجموع الكلي السمات	**860**	**100**

ومن خلال الإطلاع على نتائج الجدول السابق يتضح ارتفاع السمات السلبية المعروضة في أفلام عينة الدراسة إذ بلغت 58,83% في حين لم تبلغ القيم الإيجابية إلا 41,16% ولاشك أن هذا يؤكد أن هذه الأفلام تهتم بعرض الموضوعات السلبية أكثر من اهتمامها بالموضوعات الإيجابية.

فقد أظهرت النتائج صحة تساؤل الدراسة التحليلية حيث تبين من خلال الجداول الثلاثة السابقة أن الأفلام التي عرضتها القنوات التلفزيونية الفرنسية الثلاثة تبين غلبة القيم السلبية فيها على القيم الإيجابية، حيث بلغ إجمالي نسبة القيم السلبية 58,83% من إجمالي كل القيم في عينة الدراسة، أما نسبة القيم الإيجابية فقد بلغت 41,16% من إجمالي تكرارات القيم في نفس العينة.

وإذا رجعنا إلى تحليل مفردات القيم السلبية، فنجد أن "حب الشر" جاءت في مقدمة القيم السلبية التي تعرضها القنوات الفضائية الفرنسية حيث بلغت نسبتها 14,82% من إجمالي نسب القيم السلبية، وتعكس هذه الأفلام قيمة الجبن في المرتبة الثانية بنسبة 13,43% والعنف في المرتبة الثالثة 12,9% والخوف في المرة الرابعة والأنانية في المرتبة الخامسة وتتقارب القيم السلبية الأخرى كالقتل والكذب ومخالفة القوانين من حيث النسبة وتأتي قيمة السرقة في المرتبة الأخيرة.

وإذا كانت قيمة إثارة الجنس في المرتبة السادسة فإن الملاحظة تؤكد فعلا رواج هذه القيم في الأفلام الأجنبية سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة، فبعض المنتجين يسعون إلى ترويج الأعمال الشعبية التي تتسم بإثارة الجنس والعنف ولا يهتمون كثيرا بالقيم الأخلاقية السامية في أعمالهم، وإنما ينصب اهتمامهم على جذب أكبر قدر ممكن من الجمهور إلى الأفلام التي ينجزونها. ويؤدي – كما هو معروف- الجذب التجاري إلى قيادة ذوق برامج التلفزيون نحو ابتذال الحياة الإنسانية. فمحتوى الإثارة في وسائل الاتصال– كما يؤكد علماء النفس- يمكن أن يؤثر على أفكار المراهقين وخبراتهم الجنسية، فعلى سبيل المثال يقول ستانلي باران (Stanly Baron) أن إدراك المراهقين للشخصيات التي تقدم المشاهد الجنسية في وسائل الإعلام تجعلهم يشعرون بعدم رضا عن خبراتهم الجنسية، كما لاحظ – نفس الباحث- أنه كلما زاد عمر المراهق زاد اعتقاده بأن الجنس الذي تمارسه الشخصيات الدرامية أكثر تعبيرا عن الواقع "المزري" الذي يتطلب

تصحيحه من طرف هذه الشخصيات عوضا عن نقله كما هو وبالتالي تقديم نماذج من الجنس هي جرائم في الأصل قد يقع فيها المشاهد مرّة أخرى.

ويقول لينز (Linz) أن التعرض ولو لمجرد دقائق لمشاهدة العنف والسرقة وأقوال الزور وكل القيم السلبية يؤدي إلى اتجاهات وسلوكات ضارة بالمجتمع.[6] وكما هو معلوم تنفق وسائل الاتصال الجماهيرية في الولايات المتحدة الأمريكية بلايين الدولارات على إنتاج أشكال متنوعة من مواد الترفية والتسلية يكون لها تأثير كبير على القيم والسلوك في المجتمع الأمريكي، وجانب كبير من هذه المواد الترفيهية يعتمد على تقييم الإثارة والعنف، وترى الثقافة الأمريكية بصفة عامة أن عرض المواد الجنسية لا يشين إلا إذا ارتبط ذلك بالعنف، فهذا الأخير من القضايا القليلة التي حظيت باهتمام شديد من جانب نقاد السينما والتلفزيون والمشكلة هي أن تتحول مشاهد العنف عند تأثيرها على المراهقين إلى جرائم، فما يشاهده المراهق يقوم أحيانا بتنفيذه، ولقطات الجنس لا تقتصر على سلوك الجنس فقط، وإنما يمكن أن تمتد إلى التخطيط لإحداث الجنس. وهناك مصطلح في الأدبيات الإعلامية الأمريكية يسمى "الجنس يبيع" SexSells ويبدو أن هذا المصطلح أصبح بديهيا في المجتمع الأمريكي الحديث، فوسائل الاتصال عبارة عن مشروعات خاصة، وهي تحتاج أن تبيع لكي تحقق الرّبح الذي يضمن لها الاستمرار، وتعتبر مواد الجنس والإثارة من العناصر الأساسية التي تجلب الأرباح لوسائل الاتصال التي تعمل كمشروعات خاصة.

وتعتمد القنوات الفضائية الفرنسية على تقديم 90% تقريبا من مواد الترفيه مقابل 10% من المواد التي تخدم الصالح العام. فالحصول على الأرباح هو الهدف النهائي لوسائل الاتصال في المجتمع الفرنسي، ولذلك يتحكم عامل الربح في صناعة الترفيه واتخاذ القرارات. ويرى بعض المراقبين أنه ليس العامل الأهم، وإنما هو العامل الوحيد. ويقول نائب رئيس إحدى شركات الإنتاج السينمائي الكبرى: "لا توجد قرارات أخلاقية فيما يتعلق بمهنة السينما، ذلك أن حافز الربح يذيب عدم الملائمة الأخلاقية". ويؤدي انتشار الأعمال الجنسية الفاحشة في هذه الأفلام إلى انتهاك الآداب العامة في المجتمع وذلك من خلال نشر الفساد.

وبتحليل مفردات القيم الإيجابية في عينة الدراسة التحليلية نجد أن الشجاعة في المرتبة الأولى بنسبة 22,59% وهي أعلى نسبة، ثم قيمة التعاون وردت في المرتبة الثانية 16,38% والصـــدق في المرتبة الثالثة بنســـبة 12,42% وتتقارب القيم الإيجابية الأخرى من حيث النســـبة. ولاشـــك أن ما تعكســـه الأفلام من قيم إيجابية لا يتعارض مع القيم والمفاهيم التي يعتنقها أو يدعو إليها المجتمع الجزائري، إلا أن هذه القيم تعكس ظروف المجتمع الغربي الذي يقوم على الصدق والتعاون في شتى مجالات الحياة، من هنا جاء التأكيد في عينة الدراسة على غلبة النظرة إلى حب الخير والتعاون لدى جميع أفراد المجتمع، كذلك التأكيد على احترام القوانين واعتبارها أســـاس الحياة في المجتمع الغربي، ويقترن بذلك ضـــرورة المحافظة على النظام العام ســـواء في الســـلوك الفردي أو الجماعي باعتبار أن النظام في المفهوم الغربي هو أساس التقدم والنجاح والتحضّر، كما يدخل في إطار ذلك أيضا، ضرورة احترام القانون في ظل العدالة والنظام كما حدّدها المجتمع لنفسه.

ج- تعكس هذه الأفلام ضـــعف الروابط الســـرية وانفصـــال الأبناء على الآباء والحريّة المطلقة في كل شـــيء وهي قيم الفردانية المعروفة في المجتمع الغربي، وقد بدأت ملامح هذه القيم تبدو واضحة في مجتمعاتنا من خلال التفكك الأسري والاجتماعي والتخلي عن قيم الجماعة والعشيرة.

د- هل هذه الأفلام تعكس الواقع أم أنها تخلق واقعا جديدا عبر اختيار موضـــوعات معينة؟ إن هذه الأفلام – في الحقيقة- تحدث صـورا جديدة في رؤوسـنا، أو أوهاما، وأن هذه الصـور تقدم لنا معرفة عن الواقع تشـكل سـلوكنا. وتتطابق محتويات هذه الأفلام مع نظرية الغرس (Théorie de la cultivation) لتؤكد أن هذه الأفلام تعكس عالما يبدو حقيقيا، أو أنه يتحول إلى واقع بالنســـبة للمشـــاهدين. وقد يتقبل المتلقي هذا الواقع لكونه غير واع بالعمليات التي تحدث لخلق هذا الواقع، إنما يشـــعر فقط بكونه يتعرض للتسلية. وبعد ذلك يصبح العالم الذي خلقته هذه الأفلام حقيقيا في أذهان المشاهدين، وقد لا يستطيع البعض منهم أن يميز بين هذا العالم المصطنع والعالم الواقعي.

هـ- تسعى هذه الأفلام إلى إيجاد وتكريس نزعة استهلاكية متناقصة مع الإمكانيات المادية للأغلبية الساحقة من الجماهير، إن ما تقدمه هذه الأفلام من مواد أساسا هو أسلوب الحياة على الطريقة الاستهلاكية (وهي السمة الأساسية لهذه الأفلام) فهذه الموضوعات التي تقدم بشكل درامي تحدث في الجمهور رغبات وهمية (غير واقعية وصعبة التحقيق)، وتدفع المشاهد لأن يقتنع أن هذه الطموحات والرغبات واقعية ومشروعة، ولأن يسعى إلى تحقيقها بهذه الطريقة أو تلك.

يمكن تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها في الدراسة التحليلية في النقاط الآتية:

كشفت الدراسة أن الحجم الساعي المخصص للأفلام في القنوات الفضائية الثلاثة المدروسة يحتل مساحة معتبرة ضمن البرمجة العامة، فقد بلغت نسبة الأفلام 20,5% من بين إجمالي البرامج الأخرى المعروضة في هذه القنوات. أما أعلى نسبة من الأفلام التي تبثها هذه القنوات فتعود إلى قناة M6حيث بلغت 87,29% من مجموع البرامج الأخرى التي تبثها القناة، بينما جاءت القناة الفرنسية Tps Star في المرتبة الثانية بنسبة 85,90 % فالقناة الفرنسية +canal بنسبة 24,80% من مجموع البرامج المعروضة يوميا عبر هذه القناة.

كشفت الدراسة التحليلية عن اهتمام الأفلام (عينة البحث) بالموضوعات البوليسية بشكل كبير بحيث تصبح الركيزة الأساسية التي تحرك وتبعث وتدفع أحداث أي فيلم إلى الأمام . فقد بلغت نسبة الأفلام البوليسية من بين إجمالي الأنواع الأخرى 31,11% بينما جاءت الأفلام الاجتماعية في المرتبة الثانية بنسبة 24,44% ثم الأفلام الاستعراضية المرتبة الثالثة بنسبة 11,11% واحتلت أفلام الكوميديا نفس المرتبة الثالثة بنسبة 11,11% وجاءت الأفلام العاطفية في المرتبة الخامسة بنسبة 08,88%. ولا يعطي أي اهتمام لكل من أفلام الواسترن والتي كانت نسبتها ضئيلة 04,44% من إجمالي الأنواع المعروضة .

أظهرت النتائج اهتمام وتركيز تلك الأفلام على عرض الموضوعات السلبية أو ذات الأثر السلبي أكثر من الموضوعات الإيجابية أو ذات الأثر الإيجابي حيث بلغت نسبة القيم السلبية فيها 58,83% من إجمالي كل القيم في عينة الدراسة، أما نسبة القيم الإيجابية فقد بلغت 41,16% من إجمالي تكرارات القيم في نفس العينة.

ولا شك أن عرض القيم السلبية بنسب معتبرة في هذه الأفلام يمكن أن يؤدي إلى حدوث تأثير قوي في المشاهدين خصوصا وأن ذلك مؤشر على أن تلك الأفلام تسعى إلى تغليب جوانب الشر والفساد والخيانة والانتهازية إلخ، في جميع الموضوعات التي تتناولها على جوانب الخير والأمانة والصدق والحق، وحتى تلك القيم السلبية التي يتم عرضها بغرض نقدها وتقويمها لها آثارها السلبية على سلوك الناس سواء شعروا أو لم يشعروا بلك، وهذا نظرا لكثرة ما يعرض منها ولتنوع الطرق والأساليب والأشكال التي تقدم بها ولأنه لا يكاد يخلو منها فيلم واحد. إضافة إلى أن المدة الزمنية للقيم السلبية في هذه الأفلام طويلة، بينما تمر في الغالب القيم الإيجابية بصورة سريعة دون أن توفيها الأفلام حقها أو على الأقل تعادلها مع القيم السلبية في الوقت والحوار والأحداث إلخ. حيث أن هذه الأفلام تعرض القيم السلبية من جميع جوانبها، مفصلة فيها القول ومبرزة جميع تفاصيلها، ولكنها في المقابل تعرض القيم الإيجابية دون أن تتوقف كثيرا عندها أو تبرزها كما تفعل بالموضوعات السلبية، ولا شك أن لذلك انعكاساته السلبية على سلوك الناس وتصرفاتهم سواء قل ذلك أو كثر خصوصا وأن كل تلك الموضوعات السلبية لا تحدث في واقع مجتمعاتنا إلا قليلا، إضافة إلى أنها لا تصدر في الغالب إلا من فئة شاذة منحرفة.

خاتمة:

يستأثر التلفزيون الفضائي بأهمية مخصوصة إذ أنه حامل ديناميكي ومرن لكل أشكال الاتصال كالكلمة والصورة المسموعة والمرئية فضلا عن أنه يستقطب كل الفئات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها الثقافية و التعليمية و رصيدها الرمزي.

و في هذه السياق جاءت هذه الدراسة لسد فراغ و توفير تراكمات نظرية و إمبريقية تسهم في فهم ظاهرة البث الفضائي الوافد و تأثيراتها على القيم ، ومن جملة ما خلصنا إليه أن الجمهور يولي أهمية معتبرة للبرنامج أو المضامين المقترنة بقيمه وثقافته أكثر، ولذلك فتأثير هذه البرامج يكون إيجابيا كلما ارتبطت محتوياتها بالقيم، ويكون التأثير سلبيا كلما ابتعدت هذه المحتويات عن قيم المجتمع أو تناقضت معها.

كما أن القيمة حتمية ضرورية عند دراسة الإعلام عامة والتلفزيون خاصة، وكلما اقترنت القيمة بالإعلام، كلما كان التأثير إيجابيا على المجتمع، وكلما ابتعد الإعلام عن القيمة أو تناقض معها، كلما كان التأثير سلبيا.

من جهة أخرى حاولت الدراسة الراهنة أن تقدم صورة واضحة وموضوعية عن الأثر أو التأثيرات التي يتركها البث الفضائي الفرنسي عبر القنوات على القيم السلوكية لشريحة مهمة من المجتمع الجزائري وهم طلبة الجامعة وتلاميذ الثانوي. وعليه يجب أن يكون التلفزيون وسيلة اتصال حاملة دائما للقيم السلوكية والثقافية التي تدفع بالإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو، وهو ما ينعكس إيجابيا على محيط الإنسان المعنوي والمادي سواء على المستوى المحلي أو الدولي

الهوامش:

1. محمد أحمد بيوتي: **علم اجتماع القيم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.(1999) ص 85
2. صلاح مصطفى الفوال، **مناهج البحث في العلوم الاجتماعية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة. (1992) ص 45.
3. عبد اللطيف ذبيان العرفي: **الهوية الثقافية الوطنية والقنوات الفضائية** المجلة التونسية للاتصال،العدد30، 1997.ص 135.
4. المرجع نفسه
5. أديب خضور **سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون**، عالم الفكر، العدد الثاني، ديسمبر(1999) ، الكويت،ص66.
6. عزي عبد الرحمن، **حفريات في الفكر الاعلامي القيمي**، ط1، تونس، الدار المتوسطية للنشر، 2011.
7. عزي عبد الرحمن، الإعلام في ضوء الإعلام الاجتماعي: قراءة معرفية في النظام الأخلاقي، تونس، الدار المتوسطية، 2013
8. Emmanuel Derieux, Droit des Médias, Droit Français, Européen et international, 6eme édition, Paris, lextenso éditions, 2010,.